

الإثنين 10-03-2010

922- فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (1 من 3)

هذه الحالات ليست حالات إكلينيكية واقعية، ولا حتى متخيلة بشكل روائى شعري مطلق، ولا هي تصف أشخاصا بالذات، إنها من وحي الفروض العلمية العملية التي استلهمناها من مزيج من الحالات المرضية، والأصدقاء المشاركين، وتراكم الخبرة، وإلهامات الأسطورة الذاتية للمؤلف.



دراسة في علم السيكيوباتولوجي في فقه العلاقات البشرية

لوحات تشكيلية من الحياة والعلاج النفسى
شرح على المعتقد: ديوان اغوار النفس

فشل علاقة الموت المتبادل: عدما (1 من 3)

(1) دراكيولا

مقدمة:

هذا التشكيل مستوحى من تصور مبالغ فيه عن نوع من العلاقات بين البشر، هو أقرب إلى التهلكة المتبادلة، وإن كانت تسمى في بعض مراحلها بنفس الاسم: "الخب"، هو تشكيل من أشجع ما تصورت (وبينى وبينكم، ما عايشت) مما أسميه أيضا "المفقات القاتلة لطرفيها"، برغم أنه شائع تحت نفس الاسم (مرة أخرى: الخب).

هذه علاقة تتجاوز كثيرا صفقة الاحتياج المتبادل، والتأمين الثنائى، (نشرة 25-8-2009 دفاعات ضد "حركية" تجليات "الخب" على مسار النضج) وهى أيضا تعرى مستوى أخطر وأخبر لا يقارن بمستوى ما سبق أن نقدناه من الغمر بالخان حتى الإغراق بلا علاقة حقيقية، مثلما ورد في (نشرة 20-1-2010 "الخب بالراحة")

ترددت كثيرا في محاولة مواجهة هذه الخدعة، وتشريح أبعادها، ولكني لم أملك إزاء حقيقة ما وصلني من مخاطرها وخداعها إلا أن أعربها وهي بكل هذه البشاعة، وبما تثيره من ألم أيضا.

التناول هنا يعرى تلك الطبقة الأعمق من النفس البشرية التي لا تحقق أمانها إلا من خلال الاتهام المسعور، بكل عواقبه السلبية حتى: الهلاك والإهلاك.

الموت الذي يتكرر ذكره هنا هو نوع آخر من المفاهيم التي استعملت فيها نفس اللفظ "الموت"، هذا النوع من الموت المذكور هنا يمكن أن يطلق عليه "حركة العدم"، وهو غير "الموت السكون ضد الحركة" أصلا، وهو أيضا غير "الموت الهيام التلاشي" في بعضنا البعض (باصوت فيه وببموت فيه)، كل هذه تنويعات لبعض أشكال الموت بمعناه السلبي الساكن العدمي، أما الموت الذي سبق أن تناولته باعتباره "نقطة الوعي الشخصي إلى الوعي الكوني" (نشرة 8-7-2009 "إحياء المعنى عملاً الكلام!!")، وأيضاً باعتباره "أزمة نمو" (نشرة 10-6-2009 " صعوبات مبدئية، وخطوط عامة)، فهو عكس كل هذا الإهلاك والعدم والإعدام على طول الخط.

الموت هنا في هذا التشكيل هو خليط من أنواع المجموعة السلبية الأولى، وهو أقرب إلى غريزة الموت التي قال بها سيجموند فرويد ولم يتعهدا بالقدر الكافي، وهي الغريزة المسؤولة عن التدمير، والتهلكة، والانسحاب فالعدم، ضد الحب والقرب والإبداع وإعادة الولادة، والتعرية شديدة الصعوبة حيث الخلط وارد، الإنكار جاهز، والأشياء التي يسمى بها هذا الموت قد تكون العكس تماما، (تصور أنه يسمى هنا "الحب"!؟).

أنا مش عندي إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

هذا التشكيل هو أخطر أنواع ما يسمى الحب الثنائي (حصريا إن صح التعبير المستحدث).

نقد الحب الثنائي المتفرد وارد منذ أفلاطون الذي نقده ووصف حبا أرحب وأرقى، فاتهم ظلما بأنه دعى إلى ما تصوره أنه الحب العذرى، حتى أصبحت كلمة الحب الأفلاطوني دالة على الخيال واللاواقعية وهي غير ذلك، حقيقة أن الإنسان برغم مرور آلاف السنين - لم يرتق بعد إلى ممارسة القدرة على الحب انطلاقا من هذا الحب الثنائي، الحب الثنائي طبيعة بشرية، وتنظيم اجتماعي، وتطور طبيعي، لكن ليس على حساب القدرة على الحب، أو على حساب الانطلاق منه إلى مزيد من الحب،

التوفيق بين هذا الحب الثنائي والحفاظ على القدرة على الحب إنما يتم بأن يكون الشريك هو ممثل للجنس الآخر، أو للجنس البشري عامة، بما عبرت عنه هكذا: "أحبك بالأصالة عن نفسك، والنيابة عن سائر النوع، أو سائر البشر"، وهو ما تبينت صعوبته حتى الرفض في **(نشرة 20-8-2009 دفاعات ضد "حركية" تجليات"الحب" على مسار النضج)** "دفاع ضد الحب العام"

أن تكون العلاقة الثنائية مجرد تنظيم اجتماعي وديني يحتمى حب اثنين فأكثر هو أمر طبيعي ومهم ووارد باعتباره اختباراً ليطور والتكامل معا بما يتيح أيضاً أفضل مجال صحي لتربية الأطفال ..، لكن الانطلاق منه إلى حب أكبر فأكبر، ليس على حسابه، (ليس على حساب الحب الثنائي) هو أمر صعب كما بينا في أكثر من نشرة، كما أن العجز عن تحقيق ذلك الحب الممتد الأكبر لا ينبغي أن يقلل من ضرورة السعي لتحقيقه، فهو الحب الأرقى والأبقى حتى لو أجلت ممارسته على أرض الواقع مهما أجلت، إن الصعوبة لا ينبغي أن تنتقص من لزومه أو تحدش من صلابته. (دع جانباً الآن العوامل التي تسمح بذلك سواء في الفرد أو في المجتمع أو في التربية أو في العلاقة بالكون ..إلخ).

في نفس الوقت علينا أن نحترم النقد المتواصل لأنواع الحب الأخرى، لأنها ليست كلها سطحية أو بلا لازمة، ولكن لأنها تعلن عن مرحلة نقص رائعة، ربما ضرورية، على طريق مسيرة الإنسان الحالية. إن فشل المؤسسة الزوجية الذي تعلن زيادته باستمرار هو بمثابة دعوة إلى الانتقال منها وبها إلى ما يعد به التقارب بين البشر من تطور وتكافل لصالح النوع كافة.

اود لو أعتذر ابتداءً عن البشاعة التي قد رسمت بها هذه الصورة (كما سترد: هكذا)

إلا أني لا أملك أمام التزامي بمحاولة الصدق في تقديم ما رأيت إلا أن أقدمها كما وصلتني فشكلتها بما رأيت، وقد يغفر لي ما انفتح في آخرها من باب أمل واعد برغم كل ما تقدم من قبح وموت والتهام وعدم، هكذا أطل الأمل واثقا في النهاية وصاحبنا تقول:

لو ما لاقيش الموت حوالى حاموت موتى

.....

لحظة كل شواهد القبر تطلع خضرة

.....

لحظة طفلة صغيرة ثائرة تقدر تقتل

تقتل وحش يمص الدم

تبدأ الصورة، بتعريية تعلن أن المتحدث البادئة هي العيون الأخرى (عيون جوه عيون بتقول: = مستوى منظومي أعمق من الوعي)،

وهي عيون تبدو محذرة (حاسب عندك)، لكنه ليس تحذيرا بالمعنى العادي، لكنه نوع من التحدي المنذر بالتمادي إن لم ننتبه إلى جدية النذير:

وعيون جوا عيون بتقول:

حاسب عندك:

إوعى كمنك عطشان تعمى وتشرب منى،

أنا مش عندي إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن اخوت

والبوسة بتشلب دم،

والخضن مغاره ملانه البنج السحر السم.

يبدأ الطفل حديث الولادة فردا يتحسس طريقه خائفا من العالم الخارجى، وهو يبني علاقاته الأولى مع هذا العالم بقوانين عدم الأمن (وهو الموقف البارنوى أساسا) فيروح يمارس علاقته بالآخر من خلال الكر والفر، الذى هو اعتراف ضمنى بالآخر، برغم ظاهر الخذر واحتمال سلبية المآل، ومع ذلك فهى علاقة موضوعية لا تسمى حبا طبعاء، لكن بها من التواصل ما يتفق مع قوانين هذا الموقف (وقد تناولناها بالتفصيل في نشرة سابقة صورة "القط" أساسا **(نشرة 15-9-2009 "القط/النمر**

يداخلنا) وقد يتعمق هذا الموقف البارنوى بمزيد من عدم الأمان المتضاعف يتزايد حتى يبرر الانسحاب إلى حيث "لا - موضوع" (الموقف الشيزيدى)، وقد سبق أيضا الإشارة إليه في نفس النشرة، (راجع ساكت تحت سرير الست حاخطف حثة نظرة من ستي واجرى أكلها لوحدى تحت الكرسي المش بآين)، وقد يحل الموقف البارنوى محل أكثر عدمية، وذلك باقتحام التهامى يحتفى معه الموضوع من العالم الخارجى في داخل المهاجم الملتهم الخائف في نفس الوقت، هذا ما أشرنا إليه في نفس قصيدة القط أيضا (باكل الأطفال والنسوان الملك).

دراكيولا هنا لا تلتهم الموضوع لتستمتع بذلك، بقدر ما أنها تلتهمه لتلغيه، أى أن هذه الصورة تجسد الجانب الإلتهامى بالذات، وفي نفس الوقت هى تعلن أن الضحية تشارك في التسليم لهذا الإلتهام، وأنها (الضحية) تتغافل عن طبيعته، حتى تسميه بنفس الاسم "الخب"، (والناس عايزة تحب تحب تموت)، لكن "دراكيولا" هنا تبدو أكثر أمانة وأقل مناورة، فهى تعلن أن هذا الذى تسميه الضحية حبا، ليس إلا الموت، وأن هذا النوع من الموت هو ما تستلم له الضحية، وما نخذع فيه تحت اسم الخب، مع أنه - من نص أقوال الملتهم -

ليس إلا عدم داخل "بطن الحوت"، مع أن آثار الجريمة ماثلة للعيان، والدم يلطخ الشفاه (والبوسة بتشלב دم)

أنا مش عندي إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشלב دم،

كيف بالله عليكم، يمكن أن يكون هذا هو حقيقة الجارى في مثل هذه العلاقات، وفي نفس الوقت، تسعى إليه غالبية الناس؟ (والناس عايزه تحب تحب تموت، أيوه تموت، جوا بطن الحوت)، يبدو أن هذا النص في المتن، يريد أن يؤكد أنه مهما تواتر هذا النوع من العلاقات، ومهما كان هو المتاح، إلى أن تعريته ربما تكون أول خطوة لتجاوزه.

أحيانا يكون الدافع لقبول هذا النوع من التسليم لمثل هذه العلاقة وبرغم ما تحمل طبيعتها من إرهابات الإلغاء واخو بالالتهم وغيره، وأيضا برغم ما يعلن من أنه جريمة ملطخة بالدم، أحيانا يكون مطلوباً كنوع من التخدير هرباً من وحدة بشعة لا تطاق.

يقول المتن إن هذا النوع من الحب ما هو إلا الموت نفسه في أخفى صورة، التخدير هنا ليس فقط تغييباً للوعي، لكنه تخدير بسم زعاف مدسوس داخل كهف العدم الذي يمثله هنا: "بطن الحوت"، ربما كرمز للعودة إلى الرحم القبر، (وليس الرحم لإعادة الولادة = خروج يونس من بطن الحوت استجابة لتواصل وعيه مع الوعي الكوني المطلق، نتيجة وعيه باخرافة مساره سابقاً: لا إله إلا انت سبحانك، إن كنت من الظالمين)، الانسحاب هنا بالالتهم الدراكيول إلى جوف الحوت هو انسحاب بلا رجعة.

يعرف كل من يتابع هذه النشرة عزوفى عن، بل رفضى لأية، محاولة مما يسمى "التفسير العلمى لأى نص مقدس"، لهذا أنبه أن هذا ليس تفسيراً علمياً لأى نص، بقدر ما هو تذكرة برفض أساسى يكاد يكون فكرة محورية استلهمت من مصادر هذا العمل، فكرة تلفت حولها فروض هذا العمل "فقه العلاقات البشرية"، ها هي:

"إن العلاقة الثنائية" وجها لوجه، دون رابط مساعد يجمعهما، ويتصاعد بهما إلى المطلق، هي التى أنشأت كل هذه الصعوبات الحالية، وقد سبق أن أشرت بجزر شديد، إلى معنى "اجتمعا عليه"، و"افترقا عليه"، فى الحديث الشريف وأيضاً "تحابا فيه"، وبالتالي فلا بد من أن نؤم برنامجاً آخر يلزم للحفاظ على التواصل والاستمرارية بين اثنين، التفرقة هنا

بين العودة إلى بطن الحوت بلا رجعة، وبين العودة إلى الرحم (في النوم أو في الحلم أو في النكوص في خدمة الذات **ARISE** **Adaptive Regression in the Service of the Ego** التي وصفها بللاك **Bellack** كأحد أهم وظائف الذات)، هذه التفرقة يعززها الفرض الذي أقدم من خلاله متن العلاقات البشرية هنا، هكذا:

.. إذا لم يتواجد وعى جمعى يجمع بين وعى الأفراد بعضهم لبعض، فإن الصعوبة تزداد أضعافاً مضاعفة بالنسبة للعلاقات الثنائية حصرياً،

(ويضيف الفرض الذي أطرحه):

إن الوعى الجمعى نفسه يمتد في وعى النوع إلى وعى الكون لتتواصل دورات التناسق بين هارمونية الذات وهارمونية الكون (إلى وجه الحق تعالى). فإذا أنكرت هذه الوصلة (تحت أى اسم) تتعرى هذه الصفقات المهلكة بمثل هذا التقارب القاتل لطرفيه، كما يعلمنا المتن.

والخضن مغاره ملانه البنج السحر السم.

وبدال ما الزهره الطفله تنبت جوه الورده القلب،

بنبيع بعضينا لبعض، والقبض عدم .

ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،

ولا فيش برهان،

نكروا الرحمان.

وبعد

أتوقف هنا مضطراً وأوصي-قبل أن نكمل- بقراءة القصيدة كلها دون شرح، ثم نعاود تناول الأجزاء جزءاً جزءاً:

كل القصيدة:

(1)

وعيون جوا عيون بتقول:

"حاسب عندك!"

إوعى كمنك عطشان تعمى وتشرب منى،

أنا مش عندى إلا الموت.

باشترى بيه الناس وباسميه "حب".

والناس عايزه تحب تحب تموت،

أيوه تموت،

جوا بطن الحوت

والبوسة بتشلب دم،
والخضن مغاره ملانه البنج السحر السم.
وبدال ما الزهره الطفله تنبت جوه الورده القلب،
بنبيع بعضينا لبعض، والقبيض عدم .
ولا فيش معجزه حا تطلع يونس زى زمان،
ولا فيش برهان،
تَكُروا الرحمان.

(2)

لسه عيونها بتقول:
إوعك منى ..!
... لو بتحب صحيح ما تصصح.
لو تتأمل حبه حا تعرف،
لو ماتخافش الموت حاتشوفنى إنى الموت،
وبامس الدم .
لكن الدم الماخ ينزل يهرى ف جوفى،
ويجلىنى أعطش أكثر.
ولا يروينى إلا الدم .
ولا يروينى الدم .
ولا يروينى إلا أشوفك ميت زيي.
وارمى مصاصتك،
وأرجع أشكى وأبكى وأحكى،
"نفس القصة".

(3)

لو ماتخافشى الموت: موتى،
موت موتى،
لو بتحب الدنيا صحيح، إوعى تسببنى لنفسي.

(4)

بس الموت جواك بيقول: إوعك تصحى .
أيوه صحيح أنا جيتكو لوحدى !

جيتكم ليه ؟

أخفى جريمتي ؟

جيت أتعلم: لما أمس الدم ما بانشى ؟

ما يطرطشى ؟

جيتكو أموت وسطيكم يعني؟

واسمى باحاول ؟

ولا بينشى ؟

(5)

إنما باظت منى اللعبة،

ولا كنت اعرف.

ولا كنت اعرف إن الناس الخلوه كتار.

ولا كنت اعرف إن صباع الرجل الحى،

أقوى كتير من مليون ميت.

آه ياخساره فقستوا اللعبة.

وانا فرحانه،

وخايفه،

وعايزه،

ورافضه،

نوركم جامد يعمى عنيه.

زى فراشه تحب النور،

تجرى عليه، وتحوم حوالية

وتموت فيه،

ترقص قبل ما تطلع روحها،

"آه يا حلاوه النور موتني"

....

هو النور بيموت برضه إلا الضلمه ؟

بعدها نور الفجر بيشرق من جواي.

(6)

بس انا خايفة

أصلى ضعيفة، وطفلة لوحدي، وبأخبي ف حجر الناس
واتلخبط.

لأ، حاستي..، لأ مش طالعة .
خايفه لدكهه تمثل دورى:
تختفى تحت الجلد، أو ورا ضحكة،
أو تتصرف زى الناصحة،
تعرض فكره،
يمكن تنسوا.

وانت تعوزها تاني في السر.

(7)

دكهه الثانية الوعدة تقول:

بكره حا تحتاج موتى يا موت، ونموت جميعا.
بكره حا تحتاج تحفى جريمتك، جوا جريمتي،
بكره بتاع الناس بينور.
بكره بتاعى وحش يعور،
آه فين بكره، آه من بكره.

(8)

ترجع برضه الطفلة تعافر، وبستنجد:

شمس الحق اللى في عنيكم تقتل ليلى اللى اسمه بكره،
ليل اللعبة الضلمة الثانية، ليل السرقة الوسخه
العامية.

ليل الوغد يموت روحى، وروحك فيه.
وغد الطمع الخوف الهرب الكلبشة فينا،
حاكم الخوف عايز يسحبنا بعيد وحدينا.

(9)

بس الثانية الناصحة كهينة وعارفه طريقها:

واقفه تعايره:

إوعى تلومني.

إنت عايزنى كده.

تقتل روحك وبتمسكن، وتقول حاسي؟

هوا انا ممكن أقتل إلا اللي اختار قتله ؟
تبقى جريمة عاملها اتنين.
كل جريمة عاملها اتنين.
ذنب المقتول زى القاتل،
أصله استسلم.

(10)

وانا حذرتة وقلتلته حاسب.
إوعك تعمي.
إوعى لاموتك يحليلي موتي.
أنا نبهتك .. إوعك تنسي.
لو مالاقيش الموت حوالى، حاموت موتي.
لكن الطفلة عفية وصاحية، تضرب تقلب، وبتتنطط:
- أنا صاحيالك،
إنقى تموتى تروحي ف داهيه، أنا ماباموتشي.
أنا باستنى اللحظة بتاعى، علشان أطلع.
أنا جايباكى هنا برجليكى .. علشان أشبع.
من ورا ضهرك .
بعد شويه أجرى وابرطع.
غصين عنك .
غصين عنه .

(11)

أنا طول عمرى واقفه استنى اللحظة دهيه:
لحظة كل شواهد القبر تزرع خضره .
لحظة كل الناس الخلوه تموت موتي.
لحظة طفله صغيره ثايره، تقدر تقتل.
تقتل وحش يمس الدم .
لحظة لما الله سبحانه يرضى عليًا:
"أحلف، يحصل .
أصله وعدنى،
وانا صدقتة .